محور
الدراسات الإسلامية

حولية المنتدى

مجلة حولية المنتدى Hawlyat Al-Montada

I. S. S. N. Print :1998 - 0841 I. S. S. N. onlie :2958 - 0455 Doi 10.35519 /0828

أحْكامُ الاعمال من حيث الجزاءِ وتأثيرُها في سَّعادَةِ الإنسان وشَّقاوَته / دراسةٌ تحليلية في ضَوءِ آياتِ القرآنِ الكَريمِ

Rulings on deeds in the world of metaphors and their effect on happiness and misery
A study in light of the verses of the Holy Qur'an

أ.م.د. محسن كامل غضبان الخزاعي
جـامعة الكفيـــل- كلـية القـــانون

D.R: Mohsin Kamel Ghadhban Al-Khuzaie
Al-Kafeel University/College of Law

تاريخ الإستلام: 2024/2/17 تاريخ القبول: 2024/2/24 تاريخ النشر: 2024/6/1

Recevied: 17 / 2 / 2024 Accepted: 24 / 2 / 2024 Published: 1 / 6 / 2024

ملخص:

يتنـاول البحـث الآثـار التكوينيـة لبعـض الأعـمال مـن حيـث الجـزاء وتاثيرهـا في السـعادة والشـقاوة عـلى صعيـد أخـروي، ويبـين أنَّ لبعـض الأعـمال في عـالم المجـازاة نظامـاً يغايـر تمامـاً النظـام الموجـود مـن حيـث طبيعتهـا في العـالم الحـسي، فذلـك العـالم ربَّمـا اسـتبدل الفعـل بغـير نفسـه، وربَّمـا نقـل الفعـل ليسـنده لغـير فاعلـه، وربَّمـا جعـل للفعـل حُكـماً غـير حُكْمـهِ، كـما بـين البحـث أنَّ السـعادة والشـقاوة مـن الأمـور الكسـبية لا الذاتيـة، بوصفهـا أثـر مـن آثـار الأعـمال، لأنَّ مقتـضى العـدل الإلهـي يـأبى تصنيـف النـاس بـين سـعيد وشـقي مـن دون عمـل؛ وإنَّمـا يجـري عـلى مبـدأ إثابـة المحسـن، ومعاقبـة المـسيء.

كـما بـين البحـث أن العمـل في عـالم

المجـازات لا يؤثـر بفاعلـه فحسـب وإنمـا يتعـداه ليؤثـر بغـيره مـن دون أن يتعـارض ذلـك مـع مـا نبَّـأ بـه القـرآن مـن الإنسـان مرهـونٌ بعملـه فحسـب، ومـن دون مـا يتعـارض مـع عـدل اللـه، فـكان مـن أهـم الأعـمال التـي تناولهـا البحـث تلـك الأعـمال التـي لهـا تأثـيرُ في سـعادة الإنسـان، مثـل الأعـمال التي تُكَفِّـر مطلـق السـيئات، ومثـل التـي لهـا تأثـير في تكفـير بعـض السـيئات، والتـي لهـا تأثـير في إبـدال السـيئات إلى حسـنات، وتلـك التـي توجـب لحـوق نظائرهـا بالغـير، وأخـيراً تلـك التـي توجـب المضاعفـة في الجـزاء.

كـما تنـاول البحـث أثـر بعـض الأعـمال التـي لهـا تأثير في شـقاوة الإنسـان، مثل أثـر بعـض الأعـمال في حبـط حسـنات الدنيـا والآخـرة، وبعـض الأعـمال التـي تحبـط بعـض الحسـنات، وتلـك التـي تنقـل حسـنات فاعلهـا إلى غـيره، وتلـك التـي تؤثـر في مضاعفة العـذاب، وأخـرى توجـب لحـوق مثلهـا بالغـير، وأخـيراً مـا ينقـل مثـل سـيئات الغـير إلى الانسـان لا عينهـا.

الكلـمات المفتاحيـة: الحبـط، التكفـير، السـعادة، الشـقاوة، المضاعفـة في الجـزاء.

:Summary

The research deals with the formative effects of some actions in terms of punishment and their impact on happiness and misery on earthly and otherworldly levels, and shows that some actions in the world of reward have a special system that is completely different from the system that exists in terms of their nature in the sensory world. That world may have replaced the action with something other than itself, and perhaps transferred the action. To attribute it to someone other than its doer, and perhaps give the action a ruling other than its ruling, and other effects, as the research has shown that happiness and misery are matters of gain, not intrinsic, as an effect of actions. This is because the requirement of divine justice refuses to classify people between happy and miserable without work. Rather, it is based on the principle of rewarding the doer and punishing the wrongdoer. The research also showed that work in the world of metaphors does not only affect its doer, but goes beyond it to affect others, without contradicting what the Qur'an tells us about a person being dependent only on his work, and without conflicting with the justice of God Almighty. Thus, among the most important works that the research dealt with were those works. Which

have an effect on a person's happiness, such as the effect of some actions in expiating absolute bad deeds, and those that have an effect in expiating some bad deeds, and those that have an effect in replacing bad deeds into good deeds, and those that necessitate the recompense of their counterparts to others, and finally those that necessitate doubling the penalty.

The research also dealt with the effect of some actions that have an effect on human misery, such as the effect of some actions in nullifying the good deeds of this world and the hereafter, and some actions that nullify some good deeds, and those that transfer the good deeds of their doer to others, and those that have the effect of doubling the torment, and others that necessitate the infliction of the same upon others. Finally, what is transmitted, such as the bad deeds of others, to the person, not itself.

مقدمة:

إنَّ لبعضِ الأعمالِ في عالم المُجازاةِ نظاماً خاصاً يغاير تماماً النظام الموجود من حيث طبيعتها في العالم المادي، فلو أخذنا مثلاً فعل الأكل من حيث أنَّه مجموعة من الحركات الجسمانية الفعلية والانفعالية، فهو يأثر بفاعله وذلك بأن يُشعره بالشبع ولا يتعدى لغيره، كما أنَّه لا ينتقل منه إلى شخص آخر، وكذا إذا ضرب شخصٌ شخصاً، فالحركة الخاصة كانت ضرباً لا غير، وكان الشخص الأول ضارباً لا غير، والثاني مضروباً لا غير، وما إلى غير ذلك من الأمثلة، لكنَّ هذه الأفعال في عالم المجازاة على غير هذه الأحكام، فذلك العالم ربَّما استبدل الفعل بغير نفسه، وربَّما نقل الفعل ليسنده لغير فاعله، وربَّما جعل للفعل حُكماً غير حُكْمِهِ، وما إلى ذلك من الآثار المغايرة لنظام العالم الحسي، لذلك كان لها تأثيرٌ في السعادة والشقاوة، وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم في كثير من الموارد التي سيأتي البحث على بيانها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية دراسة موضوع (أحْكامُ الأعْمالِ في عالم المُجازاةِ وأثرُها في السَّعادَةِ والشَّقاوَة) من الطبيعة التي تقتضيها خصوصيات بعض الأعمال، والتي توحي بأن مفهومي السعادة والشقاوة ذاتيين وليسا اكتسابيين، وغاية البحث اثبات أنَّ السعادة والشقاء هما أثر من آثار الأعمال، إذ إنَّ مقتضى العدل الإلهي يأبى تصنيف الناس بين سعيد وشقي

من دون عمل؛ وإنَّما يجري على مبدأ إثابة المحسن، ومعاقبة المسيء.

فرضيات البحث:

إذا كانت أهمية دراسة هذا الموضوع تكمن في الطبيعة التي تقتضيها خصوصيات بعض الأعمال، بوصفها ذات نظامٍ يغاير النظام الحسي من حيث تأثيرها في السعادة والشقاوة، فإنَّ التساؤل الذي ينبثق في ذهن الباحث هو: هل أعطى القرآن الكريم لبعض الأعمال أحكاماً خاصة تقتضي التأثير في سعادة الإنسان أو في شقاوته، وهل ثمة شواهد حيَّة في كتاب الله تعالى على تلك الآثار، وبناءً على هذا التساؤل فقد انقدحت في ذهن الباحث جملة من الفرضيات والتساؤلات ينوي التحقق منها عبر هذه الدراسة:

١.إذ كان للعمل في عالم المُجازاةِ أثرٌ يغاير أثره في العالم المادي، فهل يأثر ذلك العمل بفاعله فحسب أو يتعداه ليؤثر بغيره، وإذا كان الأمر كذلك فهل في ذلك تعارض مع ما نبأ به القرآن من أنَّ الإنسان مرهونٌ بعمله فحسب.

٢. إذا كان لبعض الأعمال لا سيما السيِّئة منها تأثيرٌ بفاعلها وبغير فاعلها فهل ينسجم ذلك مع العدل الإلهي، وهل يأبى العقل العملي مثل هكذا تأثير.

٣. إذا كان للعمل السيئ تأثيرٌ على غير فاعله فهل ينسحب ذلك على العمل الصالح فيمتد تأثيره على غير فاعله، وإذا كان الأمر كذلك فهل يعني ذلك أن يؤخذ من حسنات الفاعل لتعطى إلى غير الفاعل.

٤. إذا كان كل ما ذكر من فرضيات هو واقعٌ وصحيح، فما طبيعة تأثير تلك الأعمال في السعادة والشقاوة، وما هو المقصود من السعادة والشقاوة، وهل يختص ذلك بعالم الدنيا، أو بعالم الآخرة، أو بالعالَمَيْنِ معاً.

هيكلية الدراسة:

للإيفاء بما تقدم من فرضيات وتساؤلات علمية قامت عليها هذه الدراسة سيحاول البحث الاجابة عنها واستيفاءها عبر مبحثين، تناول الأول ذكر: (أحكام الأعمال الصالحة من حيث الجزاء وتأثيرها في سعادة الإنسان)، فيما بيَّنَ الثاني: (أحكام الأعمال السيئة من حيث الجزاء وتأثيرها في شقاوة الإنسان)، بعد ذلك ذُيِّلَ البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تَوَصَّل إليها الباحث، تلتها قائمة المصادر

والمراجـع.

المبحث الأول

أحكام الأعمال الصالحة من حيث الجزاء وتأثيرها في سعادة لإنسان

مدخل:

هنـاك عُلقـة وثيقـة بـين العمـل الصالـح وتحصيـل السـعادة، ذلـك أنَّ السـعادة لهـا لوازمهـا وموجباتهـا، كالعلـم والعمـل الصالـح، فـلا يحيـي الإنسـان إلّا علـمُ حـقٍ وعملٌ صالـح، قـال تعـالى: {**مَـنْ عَمِـلَ صَالِحًـا مِـنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَـى وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ فَلَنُحْيِيَنَّـهُ حَيَـاةً طَيِّبَـةً**}[1]، فالعمـل الصالـح مـن أبـرز لـوازم السـعادة وهـو مـا تنـدب إليـه الفطـرة السـليمة[2]، لذلـك عندمـا يتحـدث القـرآن عـن الـشرك والكفـر يعـدُّهُ موتـاً، وعندمـا يتحـدث عـن الذنـب يعتـبره ظلمـة، قـال تعـالى: {**أَوَ مَـن كَانَ مَيْتًـا فَأَحْيَيْنَـاهُ وَجَعَلْنَـا لَـهُ نُـورًا لَـهُ نُـورًا يَمْـشِي بِـهِ فِي النَّـاسِ** }[3]، بمعنـى نقلنـاه مـن الكفـر إلى الإيمـان، فالعمـل الصالـح مـن أبـرز عوامـل ترجيـح كفـة السـعادة عـلى كفـة الشـقاوة، قـال السـيد الطباطبـائي: «فـإن الايمـان يطيـب الحيـاة الدنيا كما يطيـب الحيـاة الآخـرة»[4]، قـال تعـالى: {**فَإِمَّـا يَأْتِيَنَّكُـمْ مِنِّـي هُـدًى فَمَـنِ اتَّبَـعَ هُـدَايَ فَـلَا يَضِـلُّ وَلَا يَشْـقَى**}[5]، وقال أيضاً:{**إِنَّ الَّذِيـنَ قَالُـوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا فَـلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلَا هُـمْ يَحْزَنُـونَ**} [6]، فـلا شـقاء ولا حَـزَنَ مـع الإيمـان، لا سـيما إذا كان مشـفوعاً بالعمـل، قـال تعالى:{**وَالَّذِيـنَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ وَآَمَنُـوا بِمَـا نُـزِّلَ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَهُـوَ الْحَـقُّ مِـنْ رَبِّهِـمْ كَفَّـرَ عَنْهُـمْ سَـيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَـحَ بَالَهُـمْ**} [7]، مـن هـذا المنطلـق سـوف يتنـاول هـذا المبحـث بعـض أحـكام الأعـمال مـن حيـث الجـزاء وتأثيرها في السـعادة عـلى الصعيـد الدنيـوي والأُخـروي.

أولاً: أثـرُ بعـض الأعـمال في تكفـير مطلـق السـيئات:

جـاء في بعـض آيـات الكتـاب العزيـز أنَّ جميـع الذنـوب قابلـة للمغفـرة، إذ وردت المغفـرة في بعـض الآيـات بصيغة العمـوم، غـير أنَّهـا لا تكـون جزافـاً مـا لم تتحقـق أسـبابها وموجباتهـا، وقـد جعـل القرآن الكريـم للمغفـرة سـببين هـما: الشـفاعة والتوبـة، فإمَّـا الشـفاعة فقـد قِبَـل تعـالى بعضـاً مـن عبـاده فعيّنهـم شـفعاءَ لصالـح مـن رضي عنهـم في الشـفاعة لهـم، قـال تعـالى: {**مَـنْ ذَا الَّـذِي يَشْـفَعُ عِنْـدَهُ إِلَّا بِإِذْنِـهِ**}، ذلـك أنَّ الإذن إذا صـدر منـه تعـالى فهـو إذنٌ في الشـفاعة والشـفيع؛

لأنَّ الله يقول: {**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**}، وأمَّا التوبة فقال عنها: {**وَالَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ**}[٨]، وعليه فجميع الذنوب قابلة للمغفرة تحت عنوان التوبة والاستغفار؛ لأنَّ الله تعالى يقول: {**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**}، لذلك يرى السيد الطباطبائي أنَّ النص «صريح في مغفرة الذنوب جميعاً حتى الشرك بالتوبة»[٩]، لذا عدَّ المفسرون هذه الآية من أشمل وأوسع آيات الكتاب المجيد، إذ تعطي الأمل بغفران الذنوب جميعاً، قال الشيخ مكارم الشيرازي: «فإنها تبعث الأمل في النفوس أكثر من بقية الآيات القرآنية»[١٠]، فلا بدَّ من تقيد الإطلاق الوارد في قوله تعالى: {**يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**} بالتوبة، بحكم أنَّ الشرك لا تناله الشفاعة[١١]. وعلى هذا الأساس كل الذنوب قابلة للمغفرة لكنَّها تحتاج إلى سبب مخصص ولا تكون جزافاً، والذي عدَّه القرآن سبباً للمغفرة أمران: الشفاعة، والتوبة[١٢]، الأمر الذي يعني أنَّ المغفرة الحاصلة في الشرك ليست من القسم الحاصل بالشفاعة؛ لأنَّ الشرك وهو من أعظم الذنوب، وخارج عن نطاق الشفاعة، بصريح عبارة القرآن، {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**}[١٣].

ثانياً: أثر بعض الأعمال الحسنة في تكفير بعض السيئات:

تُعدُّ مباحث تكفير الذنوب من المباحث الكلامية المهمة التي تناولها متكلموا المذاهب الإسلامية كافة، وقد بُحثَتْ ضمن عنوانات مختلفة، مثل موضوع الاحباط[١٤]، وموضوعات الاحباط والتكفير[١٥]، وموضوعات تحابط الأعمال[١٦]، واجتماع الثواب والعقاب[١٧]، فيما بحثها علماء الشيعة في مباحث المعاد[١٨] ، أمَّا متكلموا المعتزلة فقد تعرضوا لها في مباحث الوعد والوعيد[١٩]، أجمع المتكلمون فيها على سقوط العقوبة عن الكافر حال إسلامه، إذ قالوا: «إن الإسلام يمحو كل ما كان قبله من الكفر والعصيان»[٢٠]، لكنهم اختلفوا في سقوط العقوبة حال الإسلام، فذهب متكلموا المعتزلة إلى أن التكفير لا

يختص بذنب دون ذنب، وإنَّما هو شاملٌ لجميع انواع الذنوب، فقالوا: إنَّ الأعمال الصالحة ماحية لأي ذنب كان[٢١]، ولعلَّ سبب هذا الاعتقاد يرجع إلى أنَّهم بعدما قالوا أن العبد يستحق الثواب والعقاب على فعله، وقعوا في مشكلةِ أن ذلك يستلزم أن يكون العبد مستحقاً للثواب والعقاب في نفس الوقت إذا ما جاء بالأعمال الصالحة والطالحة[٢٢]، وهذا أمرٌ لا يمكن تصوره، لذلك ذهبوا مضطرين إلى نظرية الإحباط والتكفير[٢٣]، بينما رفض متكلموا الإمامية وتابعهم الأشاعرة هذه النظرية القائلة بتكفير جميع الأفعال وخصّوها بما نصت على حبطه أو تكفيره الآيات والروايات[٢٤].

ومهما يكن من امرٍ فإنَّ القرآن الكريم قد أنبأ أنَّ ثمة اعمال لها خصوصية تكفير بعض السيئات، كما هو الحال في الصلاة المفروضة، قال تعالى: {**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**}[٢٥]، وهذه الآية كغيرها من الآيات التي تكشف تأثير بعض الأعمال الصالحة في إزالة آثار الأعمال الطالحة، من قبيل قوله تعالى: {**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**}[٢٦]، ومن قبيل قوله عزَّ وجلَّ:{**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**}[٢٧]، فكل هذه الآيات تؤكد مقولة إبطال السيئات بالأعمال الحسنة التي تتجلى بالطاعات والفرائض[٢٨]، «وبما أن جملة:{**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**} ذكرت بعد الأمر بإقامة الصلاة مباشرة، فإن واحدة من مصاديقها هي الصلاة اليومية ... فلا مجال للشك في أنه متى ما أديت الصلاة بشرائطها فإنها تنقل الإنسان إلى عالم من المعنوية والروحانية بحيث تُوَثِّق علائقه الإيمانية بالله، وتغسل عن قلبه وروحه الأدران وآثار الذنوب»[٢٩].

إلاّ أنّ علماء المسلمين اختلفوا في هذه المسألة، فهل الحسنات تمحو السيئات فحسب، أم تُسقط العقوبة فحسب، قال الجبائي: أنها تمحو السيئات، فيما قال ولده أبو هاشم الجبائي إنَّها تُسقط العقوبة[٣٠]، وقد ذهب بعضٌ من فلاسفة المسلمين إلى الرأي الأول، وأوضحوا عملية المحو بأحد طريقتين، الطريق الأول: أن الذنب بما هو ذنبٌ أمرٌ معدوم غيرُ مخلوق، والثاني: أن المذنب

يتحول عند التوبة إلى موجود جديد، فكذلك سيئاته تتحوّل إلى شيءٍ جديد وهو الحسنات[٣١].

ثالثاً: أثر بعض الأعمال في إبدال السيئات إلى حسنات:

يتضح من بعض آيات الكتاب العزيز أنَّ لبعض الأعمال الحسنة خصوصية معيَّنة تتلخص في قابليتها على تحويل السيئات إلى حسنات، مثل التوبة المقترنة بالعمل الصالح، قال تعالى: {**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**}[٣٢]، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يبدلُّ الله السيئات إلى حسنات، لذلك ذكر المفسرون عدَّة آراء يمكن قبولها بأجمعها.

الرأي الأول: الذي يرى أنَّ الإنسان عندما يتوب ويؤمن بالله تعالى، تحدث تحولات جذرية في وجوده، وبسبب هذه التحولات تتبدل سيئاته إلى حسنات، فإذا كان قاتلاً على سبيل المثال في ماضي أيامه فسوف يتبنى في المستقبل الدفاع عن المظلومين، ومواجهة الظالمين، وإذا كان من الزناة، فسيسلك طريق العفة والاحصان بالزواج، وكل هذا التوفيق يناله الإنسان عن طريق الإيمان والتوبة.

الرأي الثاني: الذي يتبنى فكرة أن الله تعالى يمحو سيئات العبد بعد التوبة، ويضع مكانها حسنات، تفضلاً وتكرماً وانعاماً، مستدلين بما روي عن أبي ذر عن رسول الله k قال: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا صغار ذنوبه، وتخبأ كبارها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وهو يُقرُّ ليس بمنكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجئ، فإذا أراد الله خيراً قال: اعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا رب لي ذنوب ما رأيتها ها هنا، قال: ورأيت رسول الله k ضحك حتى بدت نواجذه»[٣٣].

الرأي الثالث: يرى أن المقصود من السيئات ليس نفس الأعمال التي تصدر من العبد، وإنَّما الآثار السيئة لتلك الأعمال التي تنطبع بها روح الإنسان، فعندما يتوب العبد تزول آثار أعماله السيئة من روحه، وتستبدل بآثار حسنة، وهذا هو المعنى المراد من تبديل السيئات حسنات[٣٤]، لذلك ذكر العلماء أنَّ الأفعال الصادرة من الإنسان اذا أخذت بلحاظ الفعل الخارجي الصادر من الفاعل فهي مشتركة

بين الحسنة والسيئة، فلا تتميز فيها الحسنة من السيئة، إذ لا يمكن التمييز في حركات الجماع بين الزنا والنكاح الشرعي، كما لا يمكن التمييز في حركات الأكل بين المال المغصوب والمأخوذ بإذن صاحبه، وعليه فاتصاف الفعل بالحسن أو القبح إنما يكون بلحاظ موافقته ومخالفته لأوامر الله تعالى ونواهيه، أما ذات الأفعال فهي لا تعدو كونها حركات متصرمة وفانية، ولا يبقى منها إلا آثارها، فهي التي تتصف بهاتين الصفتين[٣٥].

فالعقاب إذن ناظرٌ إلى الآثار السيئة، وصدورها نابع من شقاوة الفاعل وخبث ذاته، فاذا تبدلت شقاوته إلى سعادة، وذاته إلى ذات طيبة قد تطهرت بالتوبة، أمكن أن تتبدل الآثار الملازمة لها، وبعبارة أخرى أنَّ التبدُّل لا يجري على نفس الأفعال التي انقضت وإنما يجري على آثارها التي اتصفت بالسوء وانطبعت في نفس الفاعل، فاذا تبدل الفاعل واتصف بالعمل الصالح يمحو الله تعالى تلك الآثار ويستبدله بآثار طيبة، فالتبديل يجري في آثار الأفعال لا في ذواتها[٣٦].

رابعاً: من الأعمال ما يوجب لحوق نظائرها بالغير:

أخبر تعالى في كتابه الكريم عن عظيم فضله وامتنانه على بعض خلقه من المؤمنين لا سيما الآباء والأبناء، إذْ تكرم تعالى على الآباء في حال اتَّبعتهم ذريتهم في الإيمان فإنَّه سيلحق بهم ذريَّتهم ويجعلهم معهم في نفس المنزلة، حتى وإن لم يرتقوا إلى مستوى عمل الآباء، وذلك بأن يرفع الناقص من عمل الأبناء بالكامل من عمل الآباء، من دون أن ينقص من عمل الآباء ولا منزلتهم شيءٌ، لتقرَّ بذلك أعينُهم إذا رأوا أبناءهم في منزلتهم، وهذه بحدِّ ذاتها نعمة وفضل من الله تعالى عندما يرى الإنسان أولاده معه في الجنة، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}**[٣٧]، والذي يفهم من الآية الكريمة أنَّ المراد من الذرية هم البالغون من الأبناء، الذين يقتفون أثر آبائهم المؤمنين، ويسيرون على خطِّهم، وهذا التفسير هو الأكثر انسجاماً مع ظاهر الآية، لأن الاتباع بإيمان لا يحصل من الصغير غير البالغ، فقوله تعالى: **{وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ}**

دليلٌ على بلوغهم سن التكليف أو مقاربتهم لهذا السن[٣٨]، لذا قال السيد الطباطبائي: «وإطلاق الاتباع في الايمان منصرف إلى اتباع من يصح منه في نفسه الإيمان ببلوغه حداً يُكلَّف به، فالمراد بالذرية الأولاد الكبار المكلفون بالإيمان، فالآية لا تشمل الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ»[٣٩]، إذ لا تتجه التكاليف الشرعية إلى غير البالغين، وهذا يعني رفع المسؤولية الأُخروية عن أعماله حتى يبلغ، فغير البالغ لو كذَّب أو ترك الصلاة مثلاً فإنَّه لا يؤاخذ يوم القيامة؛ بالنظر إلى وقوع الفعل منه قبل بلوغه ما لم يكن ذلك الفعل يتعلق بحق من حقوق الآخرين، فو أتلف غير البالغ أموال غيره ضمن وليه حتى يبلغ، بدلالة حديث رفع القلم[٤٠].

ومهما يكن من امرٍ فإنَّ مثل هذه الذرية إذا كان في عملهم نقص أو تقصيرٌ فإنه تعالى سيتجاوز عنهم كرامةً لصلاح آبائهم، فيرتفع عندئذ مقامهم، ويبلغون درجة آبائهم[٤١]، وهذه غاية الاكرام من الله تعالى أن يُكْرِمَ الأبوين بحفظ أولادهما ورفع منزلتهم حتى بعد موت الوالدين، لذلك نقرأ في قوله تعالى: {**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**}[٤٢]، قال بن كثير في تفسير هذا النص إنَّ: «فيه دليلٌ على أن الرجل الصالح يُحْفَظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم، ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة؛ لتقرَّ عينه بهم»[٤٣]، وقال القرطبي: «في هذه الآية ما يَدُلُّ على أنَّ الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه، وفي ولده وإن بعدوا عنه، وعلى هذا يدل قول الله تعالى: {**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**}[٤٤]،[٤٥].

وقد يتوهم متوهم أنَّ وصول الذرية إلى درجة الآباء ينقص من حسنات الآباء، فيأُخَذُ من أعمالهم الحسنة ويعطى للأبناء لذلك عقبت الآية بالقول: {**وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**} لتدفع هذا التوهم، لأنَّ الفعل ألتناهم مشتق من مادة أَلَتَ وهي على وَزن ثَبَتَ، ومعناها الانقاص[٤٦]، فالعبارة مسوقة لدفع

توهم وُرُودِ النقص في الثواب.

خامساً: من الأعمال ما يوجب المضاعفة في الجزاء:

مِن المِنَنِ الإلهية على العبد أنَّه تعالى يُضاعِفُ أجرَ أعمالِه الصَّالِحة، وذلك بحسب طبيعة العمل من حيث حلِّها ونفعها ووقوعها في موقعها، وكذا بحسب حال العامل من حيث إخلاصه وصدقه، فالله تعالى هو العليم بمن يستحق المضاعفة ومن لا يستحق، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته، فيعطي لمن يشاء، لأنه تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء وأن كثر.

ومن بين الأعمال التي توجب المضاعفة (الإنفاق)، قال تعالى: {**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**}[٤٧]، هذه الآية هي أول آية من مجموع الآيات في سورة البقرة التي تتحدث عن مسألة الإنفاق، وقد جاءت تالية للآيات المتعلقة باليوم الآخر، وكأنَّها تريد القول: إنَّ أحد أهم أسباب النجاة يوم القيامة هو الإنفاق، الذي يعدُّ من أبرز المسائل التي أكد عليها القرآن الكريم، لذلك شبهت الآية الكريمة المنفق في سبيل الله بالحبة المباركة التي تزرع في أرض طيبة، وهو مثل ضربه تعالى لمضاعفة الثواب والجزاء المترتب على الإنفاق في سبيل الله، وأن ذلك العمل يتضاعف إلى اضعاف مضاعفة حتى يصل إلى سبعمائة ضعف[٤٨]، ولعلَّ هذا المثل أكثرُ وقعاً في النفوس وأبلغ من مضاعفة العدد إلى السبعمائة، لأنَّ فيه إشارة إلى أنَّ بعض الأعمال الصالحة ينميها الباري جلَّ وعلا لأصحابها كما ينمي الزرع لأصحابه إذا بذروه في أرض طيبة[٤٩].

وكذا من الأعمال الحسنة التي توجب مضاعفة الجزاء ما ورد في قوله تعالى: {**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**}[٥٠]، والآية في مقام المدح لمجموعة من أهل الكتاب بعد أن آمنوا بالنبي محمد k، فقال عنهم: {**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ**}، فضاعف تعالى لهم الأجر مرتين، مرة لإيمانهم بكتابهم

السماوي، ومرة لإيمانهم بالنبي الخاتم، فضلاً عن حسن سلوكهم وصبرهم على أذى الكفار، وهو ما دلَّ عليه سياق الآية في قوله: {**بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ**}، قال السيد الطباطبائي: «فالدرء الدفع ... فيكون المعنى أنهم يدفعون أذى الناس عن أنفسهم بالمداراة»[٥١].

وهنا قد أكَّد القرآن الكريم أنَّ بعض الأعمال الصالحة تحمل خاصية مضاعفة الأجر والثواب، من قبيل حسن السلوك المتمثل بدفع السيئة بالحسنة، ومن قبيل الإنفاق في سبيل الله، وكذا من قبيل الصبر والاستقامة، لذلك يمكن القول: أنَّ المضاعفة الناظرة إلى الإنفاق لا تنحصر في إنفاق الأموال فحسب، بل في كل ما من شأنه أن يصدق عليه إنفاقٌ، كالعلم، والوجاهة، والسلوك الحسن، والمداراة، وغيرها، فجميع هذه المواهب هي من رزق الله تعالى، لذلك فهم ينفقونها في سبيل الله[٥٢].

ومثل ذلك في مضاعفة الأجر أيضاً ما ورد في قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}[٥٣]، المخاطب بهذه الآية بحسب بعض المفسرين هم المؤمنين الذين آمنوا ظاهراً بدعوة النبي محمد k غير أنَّ الإيمان لم يترسخ في نفوسهم، ولم يتجسد في أعمالهم، فدعاهم القرآن للإيمان الحقيقي بالله ورسوله ليضمن لهم في ظلِّ ذلك ثلاث نعم عظيمة، الأولى: {**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ**}، والكفل بمعنى الحصة التي تكفل للإنسان حاجته، والثانية: {**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ**}، والمقصود هو نور الإيمان الذي يسبق المؤمن في سيره يوم القيامة[٥٤]، والثالثة:{**وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}، يقول الشيخ مكارم الشيرازي: «لأنَّ بدونه لا يكون للإنسان هناء بأي نعمة من الله عليه، حيث يجب أن يكون في البداية في مأمن من العذاب الإلهي ثم ينتقل إلى المسير في طريق النور والتقوى لينال الرحمة الإلهية المضاعفة»[٥٥].

فهذه بعضٌ الأمثلة لأحكام بعض الأعمال الصالحة على نحو الاستقراء الناقص، التي تأثِّر في السعادة، وإلاّ فثمة أمثلة أخرى أعرض البحث عنها خشية الإطالة، كتلك التي تنقل السيئات إلى الغير، وكتلك

التي تنقل مثل حسنات الغير إلى العبد لا عين الحسنات، وكل تلك الأمثلة لها علاقة مباشرة بسعادة الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة، فمفهوم السعادة في مثل تلك الآثار يتلخص بالشعور الداخلي الذي يجده الإنسان بين جوانبه، الذي يتمثل في السكينة وهدوء النفس، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وراحة البال والضمير الذي ينتج عن الاستقامة وحسن السلوك المتقوم بقوة الإيمان، فالسعادة من المنظور الإسلامي لا تقصر على الجوانب المادية كما يتصور بعضهم وإن كانت أحد أسبابها، بل تحصيل السعادة ناظرٌ إلى الجوانب المعنوية بوصفها أثر من آثار السلوك القويم، لذلك قال تعالى: {**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** }[٥٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾[٥٧].

المبحث الثاني

أحكام الأعمال السيئة من حيث الجزاء وتأثيرها في شقاوة الإنسان

مدخل:

ينشأُ الشقاء في الغالب من النقائص المعنوية وانعدام الاتصال الروحي بتعاليم السماء، إذ يغرق الإنسان في خضم الشهوات والأهواء فيكون نصيبه العيش الضنك، لذا قال تعالى: {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}[٥٨]، ويشمل مفهوم الشقاء في الغالب كل من معاني: الشدّة والمعاناة والعسر والعناء ونقيض السهولة، بل كل ما يمنع من السعادة، وكل ذلك من علامات البؤس وضنك العيش[٥٩]، قال المناوي: «الشَقاوة ضد السعادة، وكما أنَّ السعادة ضربان، أخروية ودنيوية ثم الدنيوية ثلاثة أضرب، سعادة نفسية وبدنية وخارجية، فالشقاء كذلك، وكل شقاوة تعب ولا عكس»[٦٠].

وكل إنسان في هذه الدنيا رهنُ عمله، فعمله إما ينتهي به إلى السعادة الأبدية، وإما إلى الشقاء الذي لا شقاء دونه، لذا قال رسول الله k: «اعملوا فكلٌّ ميَّسرٌ لما خُلقَ له[٦١]، أما من كان من أهل السعادة فيسير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيسير لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: {**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}»[٦٢]، [٦٣]، إذ إنَّ مقتضى العدل الإلهي يأبى تصنيف الناس بين سعيد وشقي من دون عمل؛ وإنَّما يجري على مبدأ إثابة المحسن، ومعاقبة المسيء، لذلك حذَّر تعالى من ارتكاب بعض الأعمال المؤدية إلى درك الشقاء، مثل العمال التي تحبط حسنات الدنيا والآخرة، أو التي تحبط بعض الحسنات، أو تلك التي تنقل حسنات فاعلها إلى غيره، أو التي تنقل مثل سيئات الغير إلى الانسان لا عينها، وهذا ما سيتم الحديث عنه في هذا المبحث.

أولاً: أثر بعض الأعمال في حبط حسنات الدنيا والآخرة:

ذكر المفسرون أنَّ الإنسان كما يكسب الحسنات في الدنيا فهو يكسبها في الآخرة كذلك، لذلك قال تعالى: **{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**[٦٤]، «والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وَقْعُه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تَقَرُّ به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة»(٦٥)، وطلب الحسنة في الدنيا والآخرة هو فرار من السيئة التي من شأنها أن تذهب الحسنة، فإنَّ من الثابت أنَّ ثمة أعمال لها من الأثر ما يحبط حسنات الدنيا والآخرة، مثل الردَّة عن الإسلام، قال تعالى: {**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**}[٦٦]، ومحصل الآية أنَّ الارتداد يوجب بطلان العمل ويحب تأثيره في السعادة، قال السيد الطباطبائي: «كما أن الايمان يوجب حياة في الأعمال تؤثر بها اثرها في السعادة، فإن آمن الانسان بعد الكفر حييت أعماله في تأثير السعادة بعد كونها محبطة باطلة، وإن ارتدَّ بعد الايمان ماتت أعماله جميعاً وحبطت، فلا تأثير لها في سعادة دنيوية ولا أخروية»[٦٧]، فالآية إذن بصدد بيان بطلان كافة أعمال الإنسان وأفعاله من حيث تأثيرها في سعادته، لأنَّ الاحباط في اللغة يعني الابطال[٦٨].

ولقائل أن يقول: بأنَّ مجرى العقلاء في طريق المجازاة، هو أنَّ جزاء الحسنة على حدة، وجزاء السيئة على حدة، والله تعالى هو سيد العقلاء فلِمَ لا يبقي لكل عمل فذلك

أقرب لعدله ورحمته، وهذا الكلام وإن كان فيه شيء من الواقعية إلا أنَّ بعض الأعمال تقطع رابطة المولوية والعبودية من أصلها، كالارتداد والكفر بآيات الله تعالى والعناد فيه، وهذا هو مورد الاحباط، لذلك قال السيد الطباطبائي: «والآيات في هذه الطريقة كثيرة غنية عن الايراد»[٦٩].

وكذا من جملة الأعمال السيئة التي من شأنها أن تذهب حسنات الدنيا والآخرة الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}**[٧٠]، وهنا الآية تشير إلى ثلاث من الكبائر، الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقتل الآمرين بالقسط، وكل واحدة من هذه الكبائر كافية لحبط أعمال الإنسان، قال السيد الطباطبائي: «فمحصل الآية كسائر آيات الحبط هو أنَّ الكفر والارتداد يوجب بطلان العمل عن أن يؤثر في سعادة الحياة»[٧١].

ومن هذا المنطلق يتبين أن الحسنات لا يحبطها كلها إلا ما ينقض الإيمان كله وهو الكفر، بدلالة قوله تعالى: { **وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}**[٧٢]، وعليه فمورد الحبط وارد فيمن لا عمل لهم، كالكفار والمنافقين، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ }** (٧٣)، ولم يُنسب الحبط في القرآن الكريم إلا إلى العمل[٧٤]، لذلك وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تنسب الحبط إلى الأعمال، كقوله تعالى: **{لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**(٧٥)، وقوله جلَّ وعلا: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ}**[٧٦]، وكذا قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}**[٧٧]، قال السيد الطباطبائي: «وذيل الآية يدل بالمقابلة على أن الحبط بمعنى بطلان العمل كما هو ظاهر قوله تعالى: **{وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**(٧٨)، ويقرب منه قوله تعالى: **{وَقَدِمْنَا إِلَى**

مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}[٧٩].

ثانياً: أثر بعض الأعمال في حبط بعض الحسنات:

لا خلاف بين علماء المسلمين على أنّ مَنْ آمَنَ بعد كفره، أو تاب من الذنوب هو بمنزلة من لا ذنب عليه، وأنَّ من كفر بعد إيمانه، واقترف الذنوب بعد الحسنات هو بمنزلة من لا حسنة له، وإنّما الخلاف فيمن آمن وخلط عملاً صالحاً وآخَرَ سيّئاً، فقال التفتازاني: «فعندنا مآله إلى الجنّة ولو بعد النار، واستحقاقه للثواب والعقاب، بمقتضى الوعد والوعيد»[٨٠]، أمَّا المعتزلة فقد ذهب اكثرهم إلى إنّه من الخالدين في النار إذا لم يتب قبل موته، غير أنَّهم وقعوا في مشكلة ما يترتب على إيمانه من ثواب لذا قالوا إنّ السيئات يُذهبن الحسنات[٨١]، وهكذا فقد كثرت الآراء حول مسألة الحبط، فقال بعضهم: إنَّ الإساءة الكثيرة تبطل الحسنة القليلة، من دون أن تؤثر تلك الحسنة في تقليل الإساءة، وبعضهم يرى: إنَّ الإساءة الكثيرة تبطل الحسنة القليلة إلاّ إنَّها تؤثر في تقليل الإساءة، وقال البعض الاخر: إنّ الإساءة المتأخّرة عن الطاعات مبطلة لجميع الطاعات دون ملاحظة القلّة والكثرة[٨٢].

ومهما يكن من أمر فإنَّ بعض الأفعال فيها من الآثار ما يذهب بعض الحسنات، قال السيد الطباطبائي: «من المعاصي ما يحبط بعض الحسنات كالمشاقة مع الرسول ...، وكرفع الصوت فوق صوت النبي»[٨٣]، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**}[٨٤]، ويرى العلامة الطبرسي: إن معنى قوله: {**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**}: «أنه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي k وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما أوقعوه على خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم»[٨٥].

كما استدل الشيخ مكارم الشيرازي في هذه الآية على ذهاب بعض العمل لا كله بالقول: «لا يمنع أن يكون مثل هذا العمل السيءُ باعثاً على زوال ثواب الكثير من الأعمال، وقلنا سابقاً في بحث الحبط أنه لا مانع من زوال ثواب بعض الأعمال

بسبب بعض الذنوب الخاصة، كما أن زوال أثر بعض الذنوب بسبب الأعمال الصالحة»[٨٦]، جدير بالذكر أنَّ مثل هكذا فعل إذا قُصد به الاستخفاف بالمقام المقدس للنبيّ k والاستهزاء به، وانتهاك حرمته فهو كفرٌ بلا خلاف وهو محبط للأعمال بالكلية، إذ إنّ عَدَمَ التحَرُّزِ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ مَعَ النبي k يَأْتِي عَلَى كثير من حسنات العبد، بل ويُفْضِي به إِلَى الْكُفْرِ، لذا قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «أَيْ: يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى الْوَحْشَةِ فِي نُفُوسِكُمْ، فَلَا تَزَالُ مُعْتَقَدَاتُكُمْ تَتَدَرَّجُ الْقَهْقَرَى؛ حَتَّى يؤول ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ، فَحَبْطِ الْأَعْمَالِ»[٨٧].

ويستدل على انّ المراد بالحبط هنا هو حبط لبعض الأعمال لا جميعها أنَّ الآية خاطبت المؤمنين، والمؤمن لا يحبط عمله إلا بما ينقض الإيمان وهو الكفر، من هذا المنطلق قال ابن حيان: «وَلَمْ يَكُنِ الرَّفْعُ وَالْجَهْرُ إِلَّا مَا كَانَ فِي طِبَاعِهِمْ، لَا أَنَّهُ مَقْصُودٌ بِذَلِكَ الِاسْتِخْفَافُ وَالِاسْتِعْلَاءُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَكُونُ فِعْلُهُمْ ذَلِكَ كُفْرًا، وَالْمُخَاطَبُونَ مُؤْمِنُونَ»[٨٨]، لذلك أرادت الآية أن يلتزم المسلمون بأعلى درجات الانضباط حال تحدثهم مع النبي k وأن يتحلوا بروح التسليم والقبول المطلق لما خصَّه تعالى بأحكام خاصة كما في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**[٨٩].

ثالثاً: أثر بعض الأعمال في نقل حسنات فاعلها إلى غيره:

إنَّ لبعض الأفعال أثرٌ في نقل حسنات فاعلها إلى غيره، وأخذ سيئات فاعلها إليه، ولازم هذا الكلام هو مؤاخذة الإنسان بوزر غيره، وهذا خلاف ما يحكم به العقل، فضلاً عن منافاته الصريحة كثير من آيات القرآن، كقوله تعالى: **{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}**[٩٠]، إلاّ إنَّ هذا الاشكال مدفوعٌ بما أورده الطباطبائي بقوله: «بأن ذلك ليس من أحكام العقل النظري حتى يحكم عليه باستحالة الوقوع، بل من أحكام العقل العملي التي تتبع مصالح المجتمع الإنساني في ثبوتها وتغيرها، ومن الجائز أن يعتبر المجتمع الفعل الصادر عن أحد فعلاً صادراً عن غيره ويكتبه عليه ويؤاخذه به»[٩١]، فلو قتل شخصٌ شخصاً وكان على المقتول حقوقاً اجتماعية جاز استيفاؤها من القاتل مع أنَه لم يقم بها، قال السيد الطباطبائي:

«وكما إذا بغى على المجتمع بالخروج والإفساد والإخلال بالأمن العام فإن للمجتمع أن يعتبر جميع الحسنات الباغي كأن لم تكن إلى غير ذلك، ففي هذه الموارد وأمثالها لا يرى المجتمع السيئات التي صدرت من المظلوم إلا أوزاراً للظالم»[٩٢].

ولذلك نجد في القرآن الكريم بعض الأمثلة من المعاصي التي تنقل حسنات فاعلها إلى غيره، مثل القتل، كما في قوله تعالى: {**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ**}[٩٣]، بمعنى: «أن ينتقل إثم المقتول ظلماً إلى قاتله على إثمه الذي كان له فيجتمع عليه الإثمان، والمقتول يلقى الله سبحانه ولا إثم عليه، فهذا ظاهر قوله: {**أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ**} وقد ورد بذلك الروايات والاعتبار العقلي يساعد عليه»[٩٤]، وذكر الرازي وجهاً آخر من التفسير بقوله: «روي أن الظالم إذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه أخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم، فعلى هذا يجوز أن يقال : إني أريد أن تبوأ بإثمي في أنه يحمل عليك يوم القيامة إذا لم تجد ما يرضيني، وبإثمك في قتلك إياي»[٩٥]، وقد روي عن النبي k أنَّه قال: «إن لم يكن للظالم حسنات فإن للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فتزاد على سيئات الظالم»[٩٦]، وفي ذلك تحذير شديد من أن يفني الإنسان حسناته في أداء ما عليه من حقوق الغير، ولعلنا نجد في كتاب الله ما يعضد هذا الرأي كما في قوله تعالى : {**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ**}[٩٧].

ومهما يكن من أمر فإنَّ الآية في مقام إثبات أنَّ لبعض الأعمال من الآثار ما ينقل حسنات الفاعل إلى غيره، وآثام غيره إليه، لذلك قال غير الفاعل: {**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ**}، أي أنك إن نفذت وعيدك بقتلي فستتحمل أوزاري السابقة كذلك، من هنا قال السيد الطباطبائي: «من المعاصي ما ينقل حسنات فاعلها إلى غيره كالقتل»[٩٨]، ثم استدلَّ بقوله: {**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ**}، وقد وردت مثل هذا الآثار في الغيبة والبهتان وغيرها.

رابعاً: أثر بعض الأعمال في مضاعفة العذاب :

يتضح من بعض نصوص الكتاب العزيز أنَّ الثواب والعقاب يتضاعف بحسب مقام الإنسان، فلو ارتفع مقام الإنسان من حيث المعرفة

والوعي والإيمان والعلم فلا شكَّ أنَّ قيمة أعماله الخيرة تزداد تبعاً لذلك، لذا ورد في الحديث: «إن الثواب على قدر العقل»[٩٩]، وكذا العقاب فإنَّه يزداد تبعاً لبعض الأعمال، قال الشيخ مكارم الشيرازي: «فإذا ارتكب إنسان أمي وضعيف الإيمان ذنباً كبيراً، فهذا ليس بالأمر العجيب، ولهذا السبب سيكون جزاؤه أخف، أما إذا قام عالم مؤمن بارتكاب ذنب صغير فإن جزاءه في مقابل ذلك سيكون أشد من جزاء الأمي في قبال ذنبه الكبير»[١٠٠].

وعلى هذا الأساس نقرأ هذا المضمون في قوله تعالى: {**نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**}[١٠١]، قال الزمخشري: «وإنما ضوعف عذابهن، لأن ما قبح من سائر النساء، كان أقبح منهن وأقبح، لأن زيادة قبح المعصية، تتبع زيادة الفضل والمرتبة... ولذلك كان ذم العقلاء للعاصي العالم أشد منه للعاصي الجاهل، لأن المعصية من العالم أقبح»[١٠٢]، وقد ورد في الروايات الشريفة «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد»[١٠٣].

فإذا هتكت الحرمات المضاعفة تضاعفت العقوبة تبعاً لذلك، قال القرطبي: «لما كان أزواج النبي k في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه، قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب، وقيل: إنما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء رسول الله k، فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في إيذاء رسول الله k»[١٠٤]، لأنَّ الفاحشة من نساء النبي هتك لحرمته.

ونقرأ مثل ذلك في قوله تعالى: {**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**}[١٠٥]، فهذه الآية تشير إلى هذه الحقيقة، إذ إنَّها تخاطب النبي k بما مضمونه أنَّك إذا أظهرت ميلاً تجاه المشركين فإنَّ عقابك سيتضاعف في الدنيا والآخرة[١٠٦]، وينبغي الالتفات الضعف في اللغة لا يراد منه المرتين فحسب، بل يدلُّ على المرتين وعلى المرات أيضا[١٠٧]،

فكلمة ضعف تعني الإضافة غير المحدودة، بدليل قوله تعالى: {**وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**}[١٠٨]، وفي آية أخرى يقول: {**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**}[١٠٩]، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكل حسنة سبعمائة ضعف، وذلك قول الله: {**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ**}»[١١٠]،[١١١].

فيتضح أنَّ سبب مضاعفة العذاب يرجع إلى أن الخطأ يعظم بمقدار عظمة صاحبه، ويصغر بمقدار صغر صاحبه، وبعابرة أخرى أنَّ المضاعفة ناظرة إلى كمال نعمة الله على العبد، وكمال معرفة العبد بربه، ولمَّا كان رسول الله k أعظم خلق الله على الإطلاق توعده الباري تعالى بمضاعفة العذاب فيما لو ركن إلى المشركين ولو شيءً قليلاً، لذا قال الزمخشري: «وفي ذكر الكيدودة وتقليلها، مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين، دليل بَيِّنٌ على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته»[١١٢].

ومهما يكن من امر فإنَّ لبعض الأعمال من الأثر ما يضاعف العذاب، قال العلامة في الميزان: «من المعاصي ما يوجب تضاعف العذاب»[١١٣]، مستدلاً بقوله تعالى: {**إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**}[١١٤]، وقوله عزَّ وجلَّ: {**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**}[١١٥].

خامساً: من الأعمال ما يوجب لحوق مثلها بالغير:

قد يثير هذا العنوان تساؤلاً مفاده: كيف يُحَمِّل المولى جلَّ وعلا جزاء شخص ما على شخص آخر، فكيف يتحمل الغير وزر ما جناه غيره، وجواب مثل هكذا تساؤل يتضح من قول الإمام الصادق عليه السلام: «من ظلم سلط الله عليه من يظلمه، أو على عقبه، أو على عقب عقبه، قال (أي الراوي) فذكرت في نفسي فقلت: يظلم وهو يتسلط على عقبه وعقب عقبه، فقال لي قبل أن أتكلم: إن الله يقول: {**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**}»[١١٦]،[١١٧]، فهذا السؤال الذي خالج ذهن الراوي هو ذاته ما خالج أذهان الكثيرين منا.

لذلك كان الإيضاح الذي أورده الإمام الصادق عليه السلام يُنبأُ بأنَّ ما

يرتكبه بعضهم من أعمال في دائرته الاجتماعية ينتقل تدريجياً إلى الأجيال اللاحقة على شكل سنة من السنن، فالذي يروج في المجتمع سنة ظالمة فإن ذلك سيكون سبباً في سريان تلك السنة على أولاده أيضاً، وعلى هذا الأساس فالظالم لم يؤذي بظلمه أيتام الآخرين فحسب، بل أنَّه فتح باب الظلم على أولاده أيضاً، وعليه فإنَّ الذين يظلمون اليتامى بحسب الآية المتقدمة فإنَّهم يرسون قواعدَ سلوكٍ ظالم سوف يصيب أبناؤهم يوماً ما، وهذا من الآثار الوضعية التكوينية لمثل هكذا عمل، ذلك أنّ الظلم إذا ساد في مجتمع ما فسوف يسري ليصيب الظالم وأولاده كذلك، أمَّا من حيث نسبة هذا العمل إلى الله تعالى فترجع إلى أنَّ جميع الآثار التكوينية لبعض الأعمال، وكل خصائص العلة والمعلول منسوبةٌ ومستندة إليه سبحانه[١١٨].

وتأسيساً على ذلك يكون مفهوم قوله تعالى: {**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**}، هو أن من يخشى على مستقبل ذريته الصغار عليه أن يراعي شؤون اليتامى الآخرين ويتجنب إيذائهم، لذلك كان هدف الآية إثارة مشاعر العطف، ومشاعر الإشفاق من اجل أن تُراعى جوانب العدالة في حق يتامى الناس مثل ما يحبوا أن يتعامل الآخرون مع يتاماهم، لذلك يجب أن يتجنب الآباء مخالفة التعاليم الإلهية، وأن يتقوا الله في اليتامى، ويقولوا لهم قولاً سديداً، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: {**فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**}[١١٩].

فالآية المتقدمة خير مثال على أنَّ من الأعمال ما يوجب لحوق مثلها بالغير، لذلك قال السيد الطباطبائي في معرض حديثة عن الحسنات التي توجب لحوق مثلها بالغير: «ويمكن الحصول على مثلها في السيئات كظلم أيتام الناس حيث يوجب نزول مثله على الأيتام من نسل الظالم»[١٢٠]، ثم استدلَّ بقوله تعالى: {**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**}[١٢١]، ثم قال في تفسير هذه الآية: «ولم يؤمر الناس في الآية بالترحم والترؤف ونحو ذلك، بل بالخشية واتقاء الله وليس إلّا أنَّه تهديدٌ بحلول ما أحلّوا بأيتام الناس من إبطال حقوقهم وأكل مالهم

ظلماً بأيتام أنفسهم بعدهم وارتداد المصائب التي أوردوها عليهم إلى ذريتهم بعدهم»[١٢٢].

سادساً: من لأعمال ما ينقل مثل سيئات الغير إلى الانسان لا عينها: ربما يتوهم بعضهم أن هذا العنوان يتعارض مع بعض الأصول المنطقية المسلم بها لدى اتباع الأديان والشرائع كافة، منها الأصل القائل: (لا يعمل أحد إلا لنفسه)، والأصل القائل: (لا يعاقب أحد بذنب غيره)، كما أنَّه يتنافى مع جملة من الآيات والروايات التي تؤكد هذين الأصلين، فكيف يمكن الجمع بين تلك الآيات والروايات التي تبين بلا ما لا يدع مجالاً للشك أنَّ الإنسان لا يحمل وزر غيره، وبين قوله تعالى: {**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**}[١٢٣]، فإذا كان الأصل المنطقي يقول: لا يحمل أحد وزر أحد فكيف يحمل هؤلاء المضلون أوزار الضالين أيضا.

وجواب ذلك هو إنَّ مبدأ (لا يحمل أحد وزر أحد) إذا لم يكن هناك سبب يستدعي ذلك، أما قوله تعالى: {**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**} ناظرٌ إلى كون الإنسان مؤسساً لعمل سيءٍ يعمل على وفقه الآخرون، أي كان دالاً على ذلك العمل فتكون له دخالة في وقوعه، فإنه ـــ والحال هذه ـــ يشترك لا محالة مع غيره في عواقبه ونتائجه؛ لأنَّه في واقع الحال عمله وفعله، فلا شكَّ أنه يتحمل تبعاته خيراً كان أو شراً، فهو من وضع الأساس الذي قام عليه صرح ذلك العمل[١٢٤].

وكيف ما كان فقوله تعالى: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**} فيه دلالة واضحة على أنَّ بعض الأعمال لها من الآثار ما ينقل مثل سيئات الغير إلى غيره، لذلك قال الطباطبائي في تفسير هذه الآية: «وفي قوله: (يضلونهم) دلالة على أنَّ حملهم لأوزار غيرهم إنَّما هو من جهة اضلالهم فيعود الاضلال غاية والحمل غاية الغاية والتقدير قالوا أساطير الأولين ليضلوهم وهم أنفسهم ضالون فيحملوا أوزار أنفسهم كاملة ومن أوزار أولئك الذين يضلونهم بغير

علم»[١٢٥]، وقوله تعالى: {**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً**} قيد لدفع توهم التقسيم والتبعيض في حمل الأوزار، بمعنى أنهم يحملون من أوزاهم ومن اوزار الذين يضلونهم فيكون المجموع أوزاراً كاملاً، لذلك قال: «من تبعيضية؛ لأنَّهم لا يحملون جميع أوزارهم بل أوزارهم التي ترتبت على اضلالهم خاصة بشهادة السياق فالتبعيض انما هو لتمييز الأوزار المترتبة على الاضلال من غيرها»[١٢٦]، فيتحصل أن لبعض الأعمال هذا الأثر، لذا قال الطباطبائي في مورد آخر: «من المعاصي ما ينقل مثل سيئات الغير إلى الإنسان لا غيرها، قال تعالى: {**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**}»[١٢٧].

وفي نهاية المطاف نخلص إلى حقيقة مفادها أن مفهومي السعادة والشقاوة اكتسابيين وليس ذاتيين كما يرى بعضهم، فقد حاول الرازي أن يثبت أن الناس محكومين بالسعادة والشقاء الذاتيين، وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى: {**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**} وقوله سبحانه: {**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**}[١٢٨]، وقوله عزَّ وجلَّ: {**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**}، وقوله عزَّ اسمه: {**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**}، فقد ذكر ما مؤداه: أنّ هذه الآيات قد حكمت من الآن بأن هناك جماعة يوم القيامة سعداء وجماعة أشقياء، ومن حكم عليه تعالى بمثل هذا الحكم وقد علم سبحانه أنه إما شقي وإما سعيد فمحال عليه أن يغير حكمه ، لأنَّ ذلك يستلزم بأن ما أخبر به تعالى في هذه الآية يكون كذباً ويكون علمه جهلاً، هذا محال عليه سبحانه[١٢٩].

ومن هذا المنطلق فقد ردَّ الشيخ مكارم الشيرازي هذا الرأي بقوله : «فلو كان كل من الشقاء والسعادة ذاتيين لكان ينبغي أن يقال: أما الأشقياء وأما السعداء وما أشبه ذلك التعبير، ومن هنا يتضح بطلان ما جاء في تفسير الفخر الرازي[١٣٠]، فالآيات المتقدمة معناها أن الناس يوم القيامة قسمان قسمٌ سعداء بحسب أعمالهم، وقسم أشقياء

بحسب أعمالهم، والله تعالى يعلم من اختار طريق السعادة بمحض إرادته، ومن خطا نحو الشقاء بمحض إرادته، فالسعادة والشقاوة مرهونة بعمل الإنسان، لذلك يرى بعض المفسرين أن مجيء لفظ (شقوا) في الآيات المتقدمة بصيغة المبني للمعلوم، ولفظ (سعدوا) بصيغة المبني للمجهول، فيه إشارة لطيفة إلى أن الإنسان يطوي طريق الشقاوة بخطاه، لكن طريق السعادة لا في طيه من العون والإمداد الإلهي، ولا شك أن هذا العون وهذا الإمداد يشمل من توافرت فيهم الجدارة لهذا الإمداد، وأولئك هم الذين من يخطون خطواتهم الأولى بمحض إرادتهم فحسب[١٣١].

الخاتمة:

أنبأ القرآن الكريم أنَّ أحكام الأعمال من حيث الجزاء مبتنية على المصالح والمفاسد، فالعقل العملي لا يأبى مثلاً: التشديد على بعض المفسدين بأن يؤاخذ على جميع ما يستتبع عمله من مضار ومفاسد اجتماعية، كأن يؤاخذ من سنَّ سنةً سيئةً بجميع المفاسد الجارية على تلك السنة، وكذا الأمر في الحسنات، فقد تكون حسنات الإنسان لغيره، أو أن تكون للإنسان أمثالها، وكل ذلك باقتضاء من مبدأ المصالح والمفاسد، لذلك صار لأحكام الأعمال نظاماً خاصاً يغاير النظام الحسي من حيث تأثيرها في السعادة والشقاوة، وقد خلص الباحث من دراسة هذا الموضوع إلى جملة من النتائج:

١. تبين للباحث أنَّ ثمة خصوية لبعض الأعمال في عالم المجازات قد تكون مستورة على بعض الأفهام مفادها أنْ قد يكون الإنسان مرهونٌ بعمل غيره، أو قد ينسب عمل غيره إليه.

٢. توصل الباحث إلى أنَّ الأثر التكويني لبعض الأعمال في عالم المجازاة لا ينحصر في الجزاء الأخروي، وإنَّما يمتد تأثيره ليشمل عالم الدنيا، المر الذي ينعكس على سعادة الإنسان وشقاوته في العالمين معاً.

٣. اكتشف الباحث من استقراء الآيات القرآنية أنَّ جميع الذنوب قابلة للمغفرة غير أنَّها تحتاج إلى أسباب وموجبات ولا تكون جزافاً، وقد تبين أنَّ القرآن جعل للمغفرة سببين هما: الشفاعة والتوبة، فبعض الذنوب تغفر بالتوبة، وبعضها الاخر بالشفاعة

بحسب خصوصية بعض الأعمال.

٤. وجد الباحث أنَّ التبدل في الأعمال وانتسابها إلى غير فاعلها إنما يجري في آثار الأفعال لا في ذواتها، ذلك أنَّ الأفعال الصادرة من الإنسان اذا أخذت بلحاظ الفعل الخارجي الصادر من الفاعل فهي مشتركة بين الحسنة والسيئة، وإنما التبدل يجري على آثارها التي اتصفت بالسوء وانطبعت في نفس الفاعل.

الهوامش:

١- النحل: ٩٧.

٢- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٩/ ١٦١.

٣- الأنعام، ١٢٢.

٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٦٨.

٥- طه، ١٢٣.

٦- الاحقاف، ١٣.

٧- محمد، ٢.

٨- ال عمران، ١٣٥.

٩- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٧/ ٢٨٠.

١٠- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٥/ ١١٩.

١١- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٧/ ٢٨٠.

١٢- المصدر نفسه، ١٧/ ٢٧٩.

١٣- النساء، ٤٨.

١٤- ظ: شرح المواقف، الإيجي، ٨/ ٣٠٩.

١٥- ظ: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٤٢٢ ـــ ٤٢٧.

١٦- ظ: المنقذ من التقليد، محمود الحمصي، ٢/ ٤٢.

١٧- قواعد المرام، البحراني، ١٦٤.

١٨- ظ: ظ: شرح المواقف، الإيجي، ٨/ ٢٨٩ ـــ ٣٠٩.

١٩- ظ: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٤٢٢ ـــ ٤٢٧.

٢٠- ظ: حق اليقين، عبد الله شبّر، ٥٥١.

٢١- ظ: المصدر نفسه، ٥٥٠.

٢٢- ظ: موسوعة الكلام الإسلامي/ الإحباط والتكفير، سميح دغيم، ٥٩.

٢٣- ظ: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٤٢٢، ٤٢٣.

٢٤- ظ: الإيجي، شرح المواقف، ٨/ ٣٠٩، عبد الله شبر، ٥٤٩.

٢٥- هود، ١١٤.

٢٦- النساء، ٣١.

٢٧- العنكبوت، ٧.

٢٨- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٧/ ٨٩.

٢٩- المصدر نفسه، ٧/ ٩٠.

٣٠- ظ: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٤٢٥، ٤٢٦.

٣١- ظ: دائرة معارف القرآن كريم، سعيد حسن،٢/ ١٩٢.

٣٢- الفرقان، ٧٠.

٣٣- مسند أحمد، ٥/ ١٥٧، بحار الأنوار، المجلسي، ٧/ ٢٨٦.

٣٤- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١١/ ٣١٦، ٣١٧.

٣٥- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢٤١/١٥.

٣٦- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢٤١/١٥.

٣٧- الطور، ٢١.

٣٨- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٧/ ١٦٧.

٣٩- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٩/ ١٢.

٤٠- ظ: المبسوط، الطوسي، ١/ ٣٦٥.

٤١- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٧/ ١٦٧.

٤٢- الكهف، ٨٢.

٤٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ١٠٥.

٤٤- الأعراف، ١٦٩.

٤٥- تفسير القرطبي، القرطبي، ٦/ ٢٧.

٤٦- ظ: لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٤.

٤٧- البقرة، ٢٦١.

٤٨- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٢/ ٢٩٤.

٤٩- ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٢٤.

٥٠- القصص، ٥٢ ـــ ٥٤.

٥١- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٦/ ٥٥.

٥٢- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٢/ ٢٥٥.

٥٣- الحديد، ٢٨.

٥٤- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٨/ ٩٥.

٥٥- المصدر نفسه، ١٨/ ٩٥، ٩٦.

٥٦- النحل: ٩٧.

٥٧- طه، ١٢٣، ١٢٤.

٥٨- طه، ١٢٤.

٥٩- ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/ ٠٢٠

٦٠- التوقيف على أمهمات التعاريف، المناوي، ٢١.

٦١- بمعنى أنَّ عمله في العاجل دليل على مصيره في الآجل، ظ: فتح الباري، ابن حجر، ٢٢/ ٤٩٨.

٦٢- الليل، ٥ ـــ١٠.

٦٣- صحيح البخاري، البخاري، ١/ ٢٢٢.

٦٤- البقرة، ٢٠١.

٦٥- ظ: مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٥١.

٦٦- البقرة، ٢١٧.

٦٧- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٦٩.

٦٨- ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ١٢٩.

٦٩- الميزان، ٢/ ١٧٠.

٧٠- ال عمران، ٢١.

٧١- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٦٩.

٧٢- التوبة، ٥٣، ٥٤.

٧٣- محمد، ٨، ٩.

٧٤- ظ: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ٦٨.

٧٥- الزمر، ٦٥.

٧٦- محمد، ٣٢.

٧٧- محمد، ٣٣.

٧٨- هود، ١٦.
٧٩- الفرقان، ٢٣.
٨٠- شرح المقاصد، التفتازاني، ٢/ ٢٣٢.
٨١- ظ: شرح المقاصد، التفتازاني، ٢/ ٢٣٢، شرح الأُصول الخمسة، القاضي عبد الجبّار، ٦٢٤.
٨٢- ظ: شرح المقاصد، التفتازاني، ٢/ ٢٣٢.
٨٣- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٧٣.
٨٤- الحجرات، ٢.
٨٥- مجمع البيان، الطبرسي، ٩، ٢١٨.
٨٦- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٦/ ٥١٣.
٨٧- المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥/ ٨.
٨٨- البحر المحيط، ابن حيان، ٨/ ١٠٥.
٨٩- الحجرات، ١.
٩٠- النجم، ٣٨.
٩١- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٥/ ١٧٥.
٩٢- المصدر نفسه، ٥/ ١٧٥.
٩٣- المائدة ٢٩.
٩٤- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٥/ ٢٠٤.
٩٥- مفاتيح الغيب، الرازي، ١١/ ٢٠٧.
٩٦- الكافي، الكليني، ٨/ ١٠٦.
٩٧- العنكبوت، ١٣.
٩٨- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٧٣.
٩٩- الكافي، الكليني، ١/ ١١
١٠٠- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٩/ ٧٨.
١٠١- الأحزاب، ٣٠.
١٠٢- الكشّاف، الزمخشري، ٣/ ٢٥٩.
١٠٣- الكافي، الكليني، ١/ ٤٧.
١٠٤- تفسير القرطبي، القرطبي، ١٤/ ١٧٤.
١٠٥- الاسراء، ٧٤، ٧٥.
١٠٦- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٩/ ٧٧ ـــــ ٩٧.
١٠٧- ظ: القاموس المحيط، ٣/ ١٦٥.
١٠٨- النساء، ٤٠.
١٠٩- الانعام، ١٦٠.
١١٠- البقرة، ٢٦١.
١١١- المحاسن، البرقي، ١/ ٢٥٥.
١١٢- الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٤٦١.
١١٣- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٧٣.
١١٤- الاسراء، ٧٥.
١١٥- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٧٣.
١١٦- النساء، ٩.
١١٧- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٧٣.
١١٨- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٣/ ١٢١.
١١٩- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٣/ ١٢٠.
١٢٠- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٢/ ١٧٣.
١٢١- ظ: المصدر نفسه، ٢/ ١٧٣.
١٢٢- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٤/ ٢٠١.
١٢٣- النحل، ٢٥.
١٢٤- ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٤/

٥٤٥.

١٢٥- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٢/ ٢٣١.

١٢٦- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٢/ ٢٣١.

١٢٧- المصدر نفسه، ٢/ ١٧٣.

١٢٨- هود، ١٠٦.

١٢٩- ظ: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٨/ ٦١.

١٣٠- الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ٧، ٦٢.

١٣١- المصدر نفسه، ٧، ٦٤.

قائمة المصادرة والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين، إيران ـــ قم المقدسة، ط /١، ١٤٢١هـ.

٢. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١ه)، مؤسسة الوفاء، بيروت ـــ لبنان، ١٤٠٣ه ـــ ١٩٨٣م.

٣. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف العروف بأبي حيان الأندلس (ت٧٤٥ه)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط/١، ١٤٢٢ه.

٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٠هـ ـــ ١٩٩٩م.

٥. تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القرطبي (ت٦٧١ه)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (د ت).

٦. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط/١، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٧. حق اليقين في معرفة اصول الدين، السيد عبد الله شبّر (ت١٢٤٢ه)، منشورات العلمي، صيدا، ١٣٥٢ه.

٨. دائرة معارف القرآن كريم، سعيد حسن، مدرسة جهل ستون، طهران، ط/١، ١٩٨٨م، ٢، ١٩٢.

٩. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن احمد (ت٤١٥ه)، تعليق: احمد بن الحسين، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، (د. ت).

١٠. شرح المقاصد، محمد ابو الوفا التفتازاني (ت٧٩١ه)، ط/١، ١٤٠١ه ـــ ١٩٨١م.

١١. شرح المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي (ت ٤٨٢ه)، تحقيق وشرح: علي بن محمد الجرجاني، ط/١، ١٣٢٥ه ـــ ١٩٠٧م.

١٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ه)، ١٤٠١ه.

١٣. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ه)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـــ لبنان، ط/٢، (د ت).

١٤. القاموس المحيط، محمد بن

يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد معيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط/٨، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.

١٥. قواعد المرام في علم الكلام، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٩٩هـ)، تحقيق: أنمار معاد المظفر، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، ط/١، ١٤٣٤هـ ـــ ٢٠١٣م.

١٦. الكافي في الفقه، الشيخ تقي بن نجم الدين بن عبيد الله المشتهر بأبي الصلاح الحلبي (ت ٤٧٧هـ)، تحقيق: رضا أُستادي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، اصفهان، (د ت).

١٧. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد، ١٣٨٥هـ ـــ ١٩٦٦م.

١٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور، (ت٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ـــ لبنان، ط/٣، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٣م.

١٩. المبسوط، شمس الدين السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـــ لبنان، (د ت).

٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو الفضل علي بن الحسين الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات شركة المعارف الإسلامية، ١٣٧٩هـ .

٢١. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي(ت٢٧٤هـ)، تنقيح: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ١٣٧٠هـ ـ١٣٣٠ش.

٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١، ١٤١٣هـ، ـــ ١٩٩٣م.

٢٣. مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت ـــ لبنان، (د ت).

٢٤. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٢٧.مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن الحسن المعروف بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط/٣، (د ت).

٢٨.المنقذ من التقليد، الشيخ سديد الدين محمود الحمصي الرازي ()، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ت)، شبكة الفكر، ١٤١٢هـ.

٢٩. موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي/ الإحباط والتكفير، سميح دغيم،

مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـــ لبنان، ط/١، ١٩٨٨م

٣٠. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، تحقيق: أياد باقر سليمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط ١/، ١٤٢٧هـ ـــــ ٢٠٠٦ م.

List of sources and references

-The Holy Quran

1. Interpretarea optimă a Cărţii revelate a lui Dumnezeu, Sheikh Nasser Makarem Al-Shirazi, Comandantul Presei Credincioase, Iran - Holy Qom, ediţia I, 1421 AH.

2. Bihar Al-Anwar, Sheikh Muhammad Baqir Al-Majlisi (d. 1111 AH), Fundaţia Al-Wafa, Beirut - Liban, 1403 AH - 1983 AD.

3. Tafsir Al-Bahr Al-Muhit, Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf Al-Arouf în Abu Hayyan Al-Andalus (d. 745 AH), editat de: Adel Ahmed Abdel Mawjoud, Ali Muhammad Muawad, prima ediţie, 1422 AH .

4. Interpretarea Marelui Coran, Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi (d. 774 AH), editat de: Sami bin Muhammad Salama, Dar Taiba for Publishing and Distribution, ediţia a II-a, 1420 AH - 1999 d.Hr.

5. Tafsir Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Qurtubi (m. 671 AH), editat de: Ahmed Abdel-Aleem Al-Baradouni, (d.).

6. Al-Taqeef on the Definitions Matters, Zain al-Din Muhammad Abd al-Raouf bin Ali bin Zain al-Abidin al-Hadadi al-Manawi (d. 1031 AH), Alam al-Kutub, Cairo, prima ediţie, 1410 AH-1990 d.Hr.

7. Dreptul la certitudine în cunoaşterea elementelor fundamentale ale religiei, Al-Sayyid Abdullah Shubar (d. 1242 AH), Al-Alami Publications, Sidon, 1352 AH.

8. Enciclopedia Sfântului Coran, Saeed Hassan, Şcoala Chehel Sotoun, Teheran, ediţia I, 1988, 2, 192.

9. Explicaţia celor cinci principii, judecătorul Abdul-Jabbar bin Ahmed (d. 415 AH), comentariu: Ahmed bin Al-Hussein, editat de: Abdul Karim Othman, Biblioteca Wahba, (ed.).

10. Sharh Al-Maqasid, Muhammad Abu Al-Wafa Al-Taftazani (d. 791 AH), ediţia I, 1401 AH - 1981 AD.

11. Sharh al-Mawaqif, Adud al-Din Abd al-Rahman bin Ahmad al-Ayji (d. 482 AH), editat şi explicat de: Ali bin Muhammad al-Jurjani, ediţia I, 1325 AH - 1907 AD.

12. Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Al-Bukhari (d. 256 AH), 1401 AH.

13. Fath al-Bari în comentariul la Sahih al-Bukhari, Shihab al-Din

18. Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali Jamal al-Din Ibn Manzur, (d. 711 AH) A fost aranjat, comentat Şi indexat de: Oficiul de Investigare a Patrimoniului, Fundaţia de Istorie Arabă, Beirut - Liban, al 3-lea. ediţie, 1413 AH - 1993 d.Hr.
19. Al-Mabsut, Shams al-Din al-Sarkhasi (d. 483 AH), Dar Al-Ma'rifa for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Liban, (d. d.).
20. Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, Abu al-Fadl Ali bin al-Hussein al-Tabarsi (d. 548 AH), editat de: Hashim al-Rasouli al-Mahallati, publicaţii ale CunoaŞterii Islamice Companie, 1379 AH.
21. Al-Mahasin, Ahmed bin Muhammad bin Khalid Al-Barqi (d. 274 AH), editat de: Sayyed Jalal al-Din al-Husseini, Dar al-Kutub al-Islamiyya - Teheran, 1370 AH - 1330 AH.
22. Scurtul editor în interpretarea Cărţii Sfinte, Muhammad Abd al-Haqq ibn Abi Bakr Ghalib ibn Abd al-Rahman ibn Attiya al-Andalusi (d. 546 AH), editat de: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Liban, ediţia I, 1413 AH, 1993 AD.
23. Musnad Ahmad ibn Hanbal, Imam Ahmad ibn Hanbal (d. 241 AH), Dar Sader, Beirut - Liban, (ed.).
24. Dicţionar de standarde lingvistice, ibn Hajar al-Asqalani (d. 852 AH), Dar al-Ma'rifah pentru Tipărire Şi Publicare, Beirut - Liban, ed. a 2-a, (d.d.).
14. Al-Qamoos Al-Muhit, Muhammad bin Yaqoub Al-Fayrouzabadi (d. 817 AH), editat de: The Heritage Office of Al-Resala Foundation, sub supravegherea: Muhammad Mu'aym Al-Arqsusi, Al-Resala Fundaţia, ediţia a VIII-a, 1426 AH - 2005 d.Hr.
15. Rules of Maram in the Science of Theology, Kamal al-Din Maitham bin Ali bin Maitham al-Bahrani (d. 699 AH), editat de: Anmar Maad al-Muzaffar, Department of Intellectual Affairs la Sfântul Imam Hussein Shrine, Ediţia I, 1434 AH - 2013 AD.
16. Al-Kafi în jurisprudenţă, Şeicul Taqi bin Najm al-Din bin Ubaidullah, cunoscut sub numele de Abu al-Salah al-Halabi (d. 477 AH), editat de: Reza Ustadi, imamul Amir al-Mu'minin Ali (pace fie asupra lui) Biblioteca Publică, Isfahan, (d.d.).
17. Al-Kashfah fi Fapte ale misterelor revelaţiei Şi ochii zicerilor în chipurile interpretării, Omar bin Muhammad bin Omar Al-Khwarizmi Al-Zamakhshari (d. 538 AH), Mustafa Al-Babi Al-Halabi Şi al lui Sons Library and Press Company din Egipt, Abbas Şi Muhammad, 1385 AH - 1966 AD.

Musharafa, (d.d.), Shabakat al-Fikr, 1412 AH.
29. Encyclopedia of Islamic Theology Terms/Frustration and Atonement, Samih Daghim, Lebanon Library Publishers, Beirut - Liban, ediţia I, 1988 d.Hr.
30 . Al-Mizan în Interpretarea Coranului, de savantul Sayyid Muhammad Hussein Tabataba'i (d. 1402 AH), editat de: Iyad Baqir Suleiman, Dar Ihya' al-Arab Heritage, Beirut - Liban, I. ediţie, 1427 AH - 2006 d.Hr.

Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria (395 AH), verificat Şi editat de: Abdul Salam Muhammad Haroun, Islamic Information Library, 1404 AH.
27. Mafatih al-Ghayb (Marea Interpretare), (Tafsir al-Razi), Muhammad bin Omar bin al-Hasan, cunoscut sub numele de Fakhr al-Din al-Razi (m. 606 AH), ed. a 3-a, (d.d.) .
28. Salvatorul din imitaţie, Sheikh Sadid al-Din Mahmoud al-Homsi al-Razi (), editat de: The Islamic Publishing Foundation of the Teachers' Community in Qom al-